

## بعض اسرار اللغة العربية

أو

### تصويب لهجة من اللهجات العامية

لغة العامية جوانب مختلفة من البحوث . ومن طريفها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لفهم التي دونها في معاجمنا فقط . بل ورثونا أيضاً بعضاً من غرائزهم في تفریع الألفاظ . وتشقیق بعضها من بعض . فقلدناهم في طریقتهم هذه من دون شعور منا .

فالعرب بنابل من سلائقهم والأوضح أن نقول بسائق من غرائزهم يضعون أو يرتجلون فعلاً ثلاثياً صالماً كفعل (قطع) مثلاً ثم نجدهم يضعون أو يرتجلون بواسطة تلك الفريضة فعلاً ثلاثياً غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول (أي فعل قطع) في اللفظ والمعنى . مشابهة تامة حيناً أو مقارنة حيناً آخر . فيقولون (قَطَّ) كما قالوا قطع . ومعنى (قط) هو معنى (قطع) . حذفوا لام الفعل وشدوا عينه . فلم يسر فعلاً (قطع وقط) في طريق الاستعمال متدايرين كفعلي (ضرب ونصر) مثلاً . بل متأخين متعاقبين .

وأي الفاعلين المذكورين (قطع وقط) نطق به العرب أولاً؟ أو هُدموا إليه أولاً؟ لا بد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك شأنهم في معظم المسائل اللغوية . غير أن الأظهر أن يكون (قطع) هو الأصل لاعتبارات لا يسع المقام بسطها : أي أنها أن تكون (قط) هي المختزلة من (قطع) تخفيفاً أو تسهيلاً أو تفادياً من طول الصيغة وامتداد الصوت بها . وعلى نمط (قطع وقط) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة أسرد منها ما صر يبالى عفواً :

- ١ - ( قطع ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( قط ) .
- ٢ - ( زلق ) : = = = ( زل ) .
- ٣ - ( كحج ) : = = = ( كح ) .
- ٤ - ( بتر ) : = = = ( بت ) .
- ٥ - ( زحل ) : = = = ( زح ) .
- ( في كتب اللفظة : زحل الرجل عن مكانه تنحى وزحه عن مكانه اذا نجاه عنه ) .
- ٦ - ( شخب ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( شخ ) .
- ( في كتب اللفظة هما ( أي الشخب والشخ ) بمعنى واحد . ففي اللسان الشخ صوت اللبن اذا خرج من الضرع . وشخ بيوله مدته به وصوت . وشخب اللبن وكل مائع سال وجبرى عند الحلب ) .
- ٧ - ( مرق ) استطالوها فاخترلوها وقالوا ( مر ) .
- ٨ - ( قَسَسَ ) = = = ( قَم ) .
- ( في كتب اللفظة ( قس ) جمع القماش من هنا وهناك . والقماش فئات الأشياء المنشورة على وجه الأرض . و ( قم ) جمع القامة بالمقمة أي المكنتة . قال الزمخشري : ( وينادى بمكة على المسكنس : المقام المقام : بتشديد الميم ) .
- ٩ - ( أَلْحَفَ ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( أَلَحَّ ) .
- ١٠ - ( حَدَجَ ) : = = = ( أَحَدَّ ) .
- ( قال علماء اللفظة ( حدجه ) يبصره اذا حدق فيه النظر . ومنه قول بعض العقلاء ( حدثت الناس ما حدجوك بأبصارهم ) و ( أحد ) اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه ) .
- ١١ - ( رَصَفَ ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا ( رص ) .
- ( في كتب اللفظة رصه اذا ألصق بعضه ببعض . قال تعالى : ( كأنهم بنيان مرصوص ) ورصفت الحجارة في المسيل ضمًّا بعضها الى بعض ) ومنه الرصيف .

ما سر كلّه في الأفعال ومثال الأسماء ( الصَّرْدُ : البرد ) . أرض صَرْدٌ .  
 يوم صَرْدٌ . ( الصِرْتُ ) البرد . ريح صِرْتٌ أي باردة . وكذا الشَّطَاءُ للنهر كالشَّاطِيءُ .  
 وقالوا الشَّطَاءُ وجمعها شَطُوطٌ . و ( الحِرْحِرُحُ ) . قالوا فيه ( الحِرَّ ) بتمويض راء  
 من الحاء وهو الأصل كما يفهم من المصباح . قال وقد يستعمل استعمال بد  
 ودم من غير تمويض . أي من غير حاء ولا تشديد .

هذا ما وسعني التمثل به من تحويل العرب للفعل السالم الى فعل مضاعف  
 اختزالاً أو تخفيفاً . ولا بد أن يصحب هذا التحويل أحياناً شيء من تغيير  
 وتبديل : كأن يكون الفعل لازماً فيصبح متعدباً ( كزَحَلَ ) وزحَّ .  
 أو ثلاثياً فيصبح رباعياً ( كهدَجَ ) وأحد . أو يكون معنى الفعل عاماً فيصبح  
 خاصاً كقطع وقطَّ الذي خصّوه بالقطع المرّضي أو بقطع الشيء الصلب .  
 وكمرق ومرق فقد خصوا المروق بما كان مروره كالهم في السرعة . وقسَّ  
 وقمَّ . خصوا الأول بما جلَّ من الفئات ولم يكن مستقذراً بينما هم يستعملون  
 فعل ( قمَّ ) فيما دقَّ من الفئات واستقذروا غالباً . كفعل ( كَتَسَى ) .

أتيت بهذا التفريق بين فعلي ( قَسَّ وقَمَّ ) من عند تقسي . لما لاحظته  
 في قولهم قماش البيت أي أمتعته المتفرقة فيه هنا وهناك ، وهي غير مستقدرة .  
 ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش بمعنى الأثواب المنسوجة . لما أنها تصبح قماشاً  
 مبثراً في جنبات البيت . وهكذا نرى العرب يتحدثون ببعض التغيير في بعض  
 هذه الأفعال المضاعفة التي حولوها عن الفعل الثلاثي السالم .

\*\*

وتنتقل الآن الى اللغة العامية او اللهجة العامية . ونذكر طريقتها في بعض  
 الأفعال السالمة والمضاعفة .

قلنا آنفًا إننا ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة والفرعية المضاعفة وهي قَطَعَ وَقَطَّهَ وَبَتَّرَ وَبَتَّهَ وَكَدَّحَ وَكَدَّهَ . وقد تكرر نطقنا بها واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرار والاستعمال الطويل طريقة أسلافنا أو غريزتهم فيما كان على مثالها من الأفعال حتى احدثت التغير والتبديل فيها . هم قالوا زلق وكح وقطع ثم ساقطهم غريزتهم الى استطالتها . فمدلوا عنها الى زلَّ وكدَّ وقطَّ .

هذه الغريزة نفسها انتقلت اليها من حيث لا نشعر وجعلتنا نحن العامة نستطيل صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة فنحولها الى أفعال مضاعفة مولدة أي غير موروثه عن العرب ولا يعرفونها . طبق ما فعلوا هم حتى احدثت التغير والتبديل فيها . استطلنا فعل ( تفل ) فاخترناه وقلنا ( تَفَّ ) . كما قالوا هم في بتر ، بتَّ . فعل ( تفل ) هو الفصيح المدون . أما فعل تَفَّ الذي هو بمعنى ( تفل ) تمامًا أي البصق الخفيف فدخيل مولد . ولدته الغريزة الموروثة المستقرة في طبقات تقوسنا معشر العرب الخالفين . ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سلبقته الى فعل ( تَفَّ ) . وانما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالفة نطقت به واهتدت اليه بغريزتها الموروثة عن أمة العرب السالفة .

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا :

١ - ( تفل ) : استطالها العامة فاخترلوا منها ( تَفَّ ) .

٢ - ( بصير به ) : استطالها العامة فاخترلوا منها ( بَصَّ ) .

( تستعمل العامة بصَّ بمعنى نظر الى الشيء ولا يوجد هذا المعنى لبصَّ في اللغة الفصحى وانما معناه فيها برق ولمع . تقول نظرت في الظلمة عينًا تبص أي تلمع . ولها بصيص أي لمعان .

٣ - ( قح ) : استطالها العامة فاخترلوا منها ( قَحَّ ) .

وفعل ( قَحَّ ) قد نكون ولدناه وحاكينا به صوت السعال . على أن فعل ( قَهَبَ ) نفسه قد يكون من محولات الصوت . أي من الأفعال التي حوكت فيها الصوت واستوحى لفظها منه . وهي كثيرة في اللغة كفعل ( رَنَّ ) مثلاً الذي قالوا انه محول من صوته أي صوت الرنين .

( طَمَرَ ) : استطالها العامة فاخترلوا منها ( طَمَّ ) .

وفي كتب اللغة ( طمر الشيء ) دفنه وخبأه تحت التراب . والمطامر حفر تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب . وعامتنا تقول ( طمَّ ) الشيء بالمعنى نفسه . وليست ( طمَّ ) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطمر . وإنما تجيء بمعنى غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها . وطمت الجارية شعرها جزئته . ومنه المطحومات . فطم الشيء بمعنى دفنه تحت التراب من لغة العامة وهو محول من فعل طمر الفصحى .

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرهما أما مثال الاسم فنه قول العامة ( نَصَّ ) في ( نِصْف ) . فالأفعال الأربعة : ( نَفَّ ، وَبَصَّ ، وَقَحَّ ، وَطَمَّ ) والاسم الأخير أعني ( نصف ونص ) من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين الذين نسيمهم عامة وعواماً ورثوا غريزة أصلافهم العرب فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة وبالاسم ( نصف ) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفاً . واستعملوها مطمئين الى حسن صنيمهم واثقين من أنهم فيه انما يجرون على مقياس قاس به أصلافهم . ويحسن أن نعترف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو ( نص ) المختزلة من نصف منزبة على سائر الألفاظ العامية الأخرى لما أن تولدها أشبه بتولد كلمات اللغة الفصحى .

فلا غرو اذا عددناها وأمثالها من الفصحى وأثبتنا لها حقاً في الحياة وتدويناً في المعاجم اللغوية الجديدة عملاً بالقاعدة المؤثرة : ما قبس على كلام العرب فهو من كلام العرب .



وما قامت العامة على كلام العرب وتصرفت فيه تصرفهم في تحويل الفعل الصحيح الى مضاعف قولهم في جحمت النار أي اضطرت جحمت النار لكن لا بمعنى اضطرت واشتعلت بل بضم هذا المعنى فهم يريدون من جحمت خمدت وتحويل جرهما الى ضم<sup>(١)</sup> .

ويشبه الأثر المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم اثر آخر ورثنا طريقته من العرب ولهذا الأثر علاقة (بالثنائية) التي يدعو اليه العلامة الأب مرمرجي : ذلك أن العرب يحتزلون من الاسم الثلاثي اسماً ثنائياً بمعنى الأول بحذف حرف منه فيقولون في (بدي) بد وفي (دمو) دم وفي (ابو) أب . ثم هم أي العرب في لغاتهم أو قبائلهم يعودون (وكانهم قدموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون الى هذه الثنائيات : (بد) (دم) (أب) فيشدون أواخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها . ويقولون بدث (لغة في اليد كما في التاج ومثل له بقول الشاعر :

(جازوهم بما فعلوا اليكم مجازاة القروم بدأ يدي)

ويقولون دم بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرک التاج) ويقولون أب بالتشديد (قال في المصباح وفي لغة قليلة تشدد الباء عوضاً عن المحذوف) . هكذا كان يفعل العرب . وقد أخذنا نحن العرب المتأخرين نحذو حذو أسلافنا ونقلدهم في طريقته المذكورة من حيث لا نشعر . فقلنا في (قبة) من الرقاحة (قبة) بتشديد الحاء . وفي (جمعة) التي أصلها (جمو) جمعة بالتشديد أيضاً كأن سليقتنا تأتي الا الثلاثية كما كانت تأتي ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألقاب لغتهم .

وفي اللهجات العامية أسرار آخر ينبغي تنبها ولا يحسن إغفالها .

الغربي

www.alukah.net

(١) جعت لهجة سورية ساحلية أما في دمشق فيقولون جحرت النار بزيادة راء .